

النظر والاعتبار في جمالية الكون

مدخل تمهيدي:

بينما أنت تشاهد برنامجا وثائيا موضوعه الأزهار والأشجار، سمعت المعلق يقول: انظروا إلى ما نعتته الطبيعة!؟

ما موقفك من هذا التعليق؟

كيف تكون المظاهر الطبيعية طريقا إلى معرفة الله وطاعته؟

النصوص المؤطرة للدرس:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾.

[سورة ق، الآيات: 6 - 8]

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «وَكَانَ يَخْلُو بَعَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ اللَّيَالِي دَوَاتِ الْعَدَدِ».

[أخرجه البخاري]

I - دراسة النصوص وقراءتها:

1 - توثيق النصوص:

أ - التعريف بسورة ق:

سورة ق: مكية إلا الآية 38 فهي مدنية، عدد آياتها 45 آية، ترتيبها 50 في المصحف الشريف، نزلت بعد سورة المرسلات، تعالج السورة أول العقيدة الإسلامية (الوحدانية، الرسالة، البعث)، لكن المحور الذي تدور حوله هو موضوع البعث والنشور حتى ليكاد يكون هو الطابع الخاص للسورة الكريمة، وقد عاجله القرآن بالبرهان النافع والحجة الدامغة.

ب - التعريف بعائشة رضي الله عنها:

عائشة رضي الله عنها: هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوج النبي ﷺ، وأشهر نساته، ولدت بمكة المكرمة سنة تسع قبل الهجرة، كنيته أم عبد الله، ولقبَت بالصَّديقة، وعُرفت بأم المؤمنين، وبالحمراء لغلبة البياض على لونها، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية التي قال فيها رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أُمِّ رُومَانَ»، توفيت رضي الله عنها بالمدينة المنورة ليلة الثلاثاء 17 رمضان 58 هـ.

II - فهم النصوص:

1 - مدلولات الألفاظ والعبارات:

- فروج: شقوق.
- مددناها: بسطانها.
- رواسي: جبال ترسي وتثبت الأرض.
- تبصرة: تذكرة.
- يتحنن: يتعبد.

○ منيب: تائب وراجع إلى الله.

2 - المعاني الأساسية للنصوص:

➤ يدعون الله تعالى إلى التدبر في ملكوت السماوات والأرض.

➤ يشير الحديث إلى أن النبي عليه السلام كان يتدبر في ملكوت السماوات والأرض.

تحليل أمور الدرس ومناقشتها:

I - مفهوم النظر في الكون:

النظر في الكون: النظر والتفكير من فئات العلماء، ومن أعظم العبادات التي تقود إلى الخشوع لله، فالنظر في جمال الكون والمخلوقات هو من التفكير في خلق الله عز وجل وجميل نعمه، وقد أمر الإنسان بالنظر فيه لاكتشاف نظامه المحكم وتناسقه المتقن وروعة بنائه ودقة نعمه، وقد أمر الله تعالى عباده بالتأمل والنظر في الكون لاستجلاء عظيم نعمه سبحانه، وتنوع الموجودات فيه برا وجوا وبحرا، فكل مخلوق مهما غر حجمه أو كبر يدل دلالة كبرى على عظمة الخالق عز وجل.

II - الغاية من النظر في جمالية الكون:

✓ إثارة احساس الإنسان بجمال الكون والاستمتاع به وتذوقه.

✓ إدراك عظمة الخالق سبحانه وتعالى وبديع قدرته وعجيب نعمه وإتقانه.

✓ زيادة الإيمان به سبحانه وتقديسه.

✓ زيادة في اليقين وقوة في الإيمان، وتثبيتنا للقلوب على التوحيد والتقوى.

✓ شكره سبحانه وتعالى على نعمه وفضله على العباد.

✓ انعكاس ذلك على حياة المؤمن وسلوكه.

III - قيمة النظر في الكون وفائدة تدبره:

دعا الله تعالى عباده إلى التفكير في خلق السماوات والأرض لإدراك عظمتهم في جميل إبداعه ودقة نعمه، لكن الناس في علاقتهم بالكون ينقسمون إلى قسمين، هما:

✓ العاقلون: الذين ينظرون في الكون ويستجلون عظيم آيات الله المتمثلة في تناسق مكوناته ودقة تنظيمه وتنوع موجوداته بين شجر وحجر وشمس وقمر ...

✓ الغافلون: الذين يمشون على آيات الكون المتنوعة، وينبهرون بجماله دون أن يصلوا عن طريقه إلى الإيمان بالله، لما تراكم على قلوبهم من كدر المعالي والآثام.

IV - الاعتبار في جمالية الكون طريق إلى الله تعالى:

بعد أن بين الله أن الكون علامة للعاقليين يستدلون بها على عظمتهم، ووجوده، ووحدانيتها، ذكره سورة سلوكية عملية تبرز مدى مدقهم واعتبارهم، وهي الاستغراق في ذكره وشكره، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، لذا فالتفكير في ملكوت السماوات والأرض سبيل الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه وخشيته في السر والعلن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.